

العقيدة الميسرة
من الكتاب العزيز والسنة المطهرة

كل الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م
مزيدة ومنقحة

العقيدة الميسرة

من الكتاب العزيز والسنة المطهرة

تأليف

د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

جامعة القصيم - قسم العقيدة

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ سُبْحَانَهُ:
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي أَمَّنَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِبَعَثِهِ،
فَقَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. **أما بعد:**

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى، وَدِينَ الْحَقِّ،
لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمَنْ الضَّلَالُ الْمُبِينُ إِلَى الْهُدَى
الْتَامِ، الَّذِي بِهِ انْشَرَّاحُ الصُّدُورِ، وَطَمَآنِينَةُ الْقُلُوبِ؛ فَإِنَّ (الْهُدَى) هُوَ
الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَ(دِينَ الْحَقِّ) هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ. وَعَلَى هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ
الْعَظِيمَيْنِ تَقُومُ الْحَيَاةُ الطَّيْبَةُ.

وَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ الْعَزِيزَ كَافَةً مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ فِي

عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم. وجاءت السنة المطهرة تبياناً لما أجمل، وتفسيراً لما أبهم، وتفصيلاً لما عمم؛ كما قال ﷺ: «ألا إني أُوتيتُ الكتاب، ومثلهُ معه» رواه أبو داود^(١).

والعقيدة الإسلامية عماد هذا الدين، وقاعدته، وسر قوته وظهوره على الدين كله لما تتضمنه من الخصائص الفريدة، ومنها:

➤ **أولاً:** التوحيد: لله تعالى بالعبادة، وللنبي ﷺ بالاتباع.

➤ **ثانياً:** التوقيف: فهي ربانية المصدر؛ لا يتجاوز فيها القرآن والحديث، ولا تستمد من رأي أو قياس.

➤ **ثالثاً:** موافقة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تجتالهم الشياطين.

➤ **رابعاً:** موافقة العقل الصريح، السالم من الشبهات والشهوات.

➤ **خامساً:** الشمول: فلا تدع جانباً من جوانب الكون والحياة والإنسان إلا بيّنته.

➤ **سادساً:** التشابه: فبعضها يصدق بعضاً، فلا تناقض ولا تفاوت في مفرداتها.

➤ **سابعاً:** الوسطية: فهي ميزان الاعتدال بين الإفراط والتفريط بين مختلف المقالات.

وقد أثمرت هذه الخصائص الثمار التالية:

* **أولاً:** تحقيق العبودية لرب العالمين، والتحرر من الرق للمخلوقين.

(١) برقم (٤٦٠٤) من حديث المقدم بن معدٍ يكرب رضى الله عنه.

* **ثانياً:** تحقيق الاتباع لرسول رب العالمين، والانعتاق من البدعة والمبتدعين.

* **ثالثاً:** الراحة النفسية، والطمأنينة القلبية، بالصلة بالخالق المدبر الحكيم.

* **رابعاً:** القناعة الفكرية، والاطراد العقلي، والسلامة من التناقض، والخرافة.

* **خامساً:** تلبية حاجات الروح وحاجات الجسد، والتكامل بين الاعتقاد والسلوك.

ولم يزل علماء الملة، يولون العقيدة همّهم، ويبذلون في تعليمها وتقريرها جهدهم، ويصنفون في ذلك المتون المختصرة، والشروح المطوّلة، تارة في بيان مجمل اعتقاد السلف، وتارة في بيان مسألة معينة، وأخرى في الرد على أهل الأهواء والبدع المضلة.

وقد رأيت تقريب مسائل الاعتقاد، وترتيبها على نسق الترتيب النبوي لأصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل المشهور، معتمداً على نصوص الوحيين فقط: الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، جاعلاً تحت كل أصل ما يتضمّنه من مفردات، مذيلاً إياه ببيان من ضلّ في ذلك الباب، والرد عليه دون إطناب.

فجاءت هذه العقيدة وسيطة بين الإطالة والاختصار، واتسمت بالوضوح واليسر، ليتمكن آحاد المسلمين من الانتفاع بها، وتحصيل المقصود من الإلمام بمجمل اعتقاد السلف بعبارة سهلة، وترتيب موضوعي. وسمّيتها:

«العقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة»

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم العقيدة

جامعة القصيم

E-mail: al-aqidah@al-aqiadh.com

E-mail: qadisa@yahoo.com

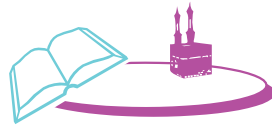
ص.ب (٢٤٦)، الرمز البريدي (٥١٩١١) عنيزة

الحقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة

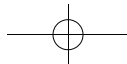
أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

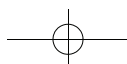
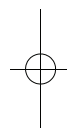
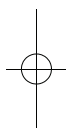
وقال ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم^(١).



(١) برقم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.



Black plate (10,1)



الإيمان بالله

١١

الإيمان بالله

فالإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه، وأنه رب كل شيء، المستحق للعبادة وحده دون سواه، المتّصف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص.

ويتضمن الإيمان بالله أربعة أمور:



أولاً الإيمان بوجوده

وجوده سبحانه أحق الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، والشك في وجوده بُهت ونكر: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، وجحد وجوده كبر، وظلم، وكفر: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَفْرِعُونَ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِّبَنٍ أَخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرَ لِمَجْعَلَتَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩].

وقد دلّ على وجوده سبحانه أمور، منها:



الفطرة السليمة

١

وهي ما جُبل عليه ابن آدم من غير سبق تعليم.
قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرّوم: ٣٠]، وقال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه» رواه البخاري. وفي رواية عند مسلم: «ما من مولود يولد إلا وهو على الملة». وفي رواية عنده: «إلا على هذه الملة، حتى يُبين عنه لسانه». وفي رواية أخرى عنده: «ليس من مولود يُولد إلا على هذه الفطرة، حتى يُعبر عنه لسانه»^(١).

فكل مخلوق باقٍ على فطرته الأصلية يجد في نفسه الإيمان بوجود الله، إلا أن يطرأ على تلك الفطرة ما يفسدها. قال تعالى في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاءً كلّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم» رواه مسلم^(٢).

وربما رانَ على الفطرة حجاب من الشبهات، والشهوات، لكنها تظهر على حقيقتها في أوقات الشدائد، والأزمات. قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].



العقل الصريح

٢

وهو السالم من الشبهات والشهوات، فإنه يقطع بأن المخلوقات لا بد لها من خالق؛ لأنها لا يمكن أن توجد صدفة بدون خالق؛

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨)؛ ومسلم برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل، من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

الإيمان بالله

١٣

ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، فالعدم لا يُنشئ وجوداً! فلا بد من خالق موجد، وهو الله سبحانه.

ولما قدم جُبَيْر بن مُطْعَم على رسول الله ﷺ في فداء أسرى بدر، - وكان إذ ذاك مشركاً -، سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفِكُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْبِطُونَ (٣٧) [الطور: ٣٥ - ٣٧]، قال: (كاد قلبي أن يطير) - رواه البخاري (١) - وكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبه.

وقد استدل بصراحة العقل، خطيب العرب في الجاهلية، قس بن ساعدة الإيادي، فقال: «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدل على الصانع الخبير».



الحس المشهود

٣

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وله صور متنوعة، منها: آيات النبيين، وكرامات الأولياء والصالحين، وإجابة الداعين.

قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٢) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا (١٣) [القمر: ١٠ - ١٤]. وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (١٣) وَأَرْزَقْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ (١٤) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ

(١) برقم (٣٠٥٠)، (٤٠٢٣)، (٤٨٥٤).

الإيمان بالله

أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٧]. وقال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]. وجرى أمثال ذلك لنبينا محمد ﷺ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلك الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قرعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله، هلك الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطن الأودية، ومنابت الشجر» قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس. متفق عليه (١). وقال الله ﷻ على سبيل العموم: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٤)؛ ومسلم برقم (٨٩٧). قوله: (قرعة) أي: سحاب متفرق. وقوله: (سلع): هو جبل معروف بالمدينة، وقوله: (مثل الترس) أي: مستديرة. قال القرطبي: (وتشبيه السحابة بالترس، في كثافتها واستدارتها). انظر: المفهم (٥٤٣/٢)، وفتح الباري، لابن حجر (٣/٣٦٢ - ٣٦٣).

الإيمان بالله

١٥

فآيات المرسلين، وإجابة الداعين، وغوث المكروبين، أدلة محسوسة، أدركها فئام من الناس، تشهد بوجود مرسلهم، ومجيئهم، ومغيثهم، سبحانه، شهادة يقين.



٤ الشرع الصحيح

وهو ناطق الكتاب وصحيح السنة.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فما تضمنه القرآن العظيم من الأخبار الغيبية المتحققة، والعقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة، دليل على أن ذلك من عند الله، ولا يمكن أن يكون من عند غيره من المخلوقين. ولهذا لم ينكر وجود الله، حقيقة، أحد من بني آدم. وإنما تظاهر بذلك أصناف من الملاحدة، قديماً، وحديثاً، مثل:



١ الدهريون

وهؤلاء هم الفلاسفة الدهرية القائلون بقدم العالم وخلوده، ويشابههم في هذا العصر من يُسمون (الملاحدة الجدد).

والدهريون هم القائلون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فيزعمون أن العالم يسير بنفسه، وأنه لم يزل، ولا يزال! ويقولون: بطون تدفع،

الإيمان بالله

١٦

وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر! فعطّلوا المخلوقات عن خالقها. وقد ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ لا من عقل، ولا نقل، ولا حس، ولا فطرة، بل محض تخرّص، وتوهّم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.



٢ الطبائعيون

القائلون إن العالم وجد بفعل (الطبيعة)، أي أن ذوات الأشياء؛ من نبات، أو حيوان، أو جماد، وخصائصها، أوجدت نفسها، وحركاتها! والرد عليهم بدّهي: وهو أنه يمتنع أن يكون الشيء خالقاً، ومخلوقاً، في آن واحد. قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

والطبيعة التي يُسندون إليها الإيجاد، جملة جمادات؛ صمّاء، عمياء، بكماء، لا مشاعر لها وأحاسيس، فكيف تنشئ مخلوقات حية؛ تسمع، وتبصر، وتنطق، وتحس، وتشعر بالألم والأمل؟! ففاقد الشيء لا يعطيه.



٣ الصُّدْفِيُّونَ

القائلون بأن الكائنات نشأت عن طريق المصادفة المحضة، بمعنى أن تَجْمُع الذرات، والجزيئات، أدى عن طريق الصدفة إلى ظهور الحياة، وتكوّن المخلوقات المتنوعة، بلا تدبير ولا إحكام مسبق! ومجرّد تصور هذه الدعوى يكفي لإسقاطها وتهافتها. فإن دقة الخلق، ونظامه البديع، واستمراره على سنن مطّردة، وتوازن مُحكم، يمنع دعوى الصدفة. قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

٤

الشيوعيون



وهم أتباع (كارل ماركس)، القائلون: «لا إله، والحياة مادة». ولما أسسوا دولتهم: (الاتحاد السوفيتي) على هذا الجرف الهاري، والاعتقاد الباطل، انهارت في زمن قصير، وتفككت إلى دويلات متعددة.

٥

أفراد شوان، على مر التاريخ



كفروا الذي تظاهر بإنكار الرب فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، ثم ادعى ذلك لنفسه، فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ثم تمادى فادعى لنفسه الألوهية، فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وتوعد موسى ﷺ، فقال: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وكالنمرود الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكل هؤلاء، مناقضون لأنفسهم، متنكرون لفطرتهم، كما شهد الله بذلك عليهم، بقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. ولهذا لم تقم لهم قائمة، ولم تبق لهم باقية.

ثانياً

الإيمان بربوبيته



هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده، هو الرب؛ الخالق، المالك، الأمر. ومعنى الرب: السيد، المالك، المتصرف، الذي ربي

الإيمان بالله

١٨

جميع العالمين بنعمه . قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ (٥٠) ﴾ [طه: ٤٩ - ٥٠] .

فمدار الربوبية على ثلاثة أمور :



الخلق

١

فالله خالق كل شيء ، وما سواه مخلوق . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٦) ﴿ الزمر: ٦٢ ﴾ ، وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] . وكل خلق أضيف إلى غيره فهو خلق نسبي ؛ بمعنى التشكيل ، والتأليف ، والتقدير ، لا الإنشاء من العدم كقوله : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] .



الملك

٢

فالله المالك ، وما سواه مملوك . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٧) ﴿ البقرة: ١٠٧ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] ، وقال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، وقال : ﴿ وَلَوْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] ، وقال : ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣] . وكل ملك أضيف إلى أحد سواه ، فهو ملك نسبي ، مؤقت ، جزئي ، كما في قوله : ﴿ يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [غافر: ٢٩] ، وقوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] . وأما الملك التام المطلق فهو لله وحده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠] .

٣ الأمر

فإن الله الأمر، وما سواه مأمور. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فكيف بمن دونه. وقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. فهو الأمر وحده في خلقه، وما أضيف إلى غيره من أمر، كقوله: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، فهو أمر نسبي، داخل تحت مشيئته؛ إن شاء أمضاه، وإن شاء منعه.

وأمره، سبحانه، يشمل الأمر الكوني والشرعي؛ فأما الكوني فنفاذ لا محالة، وهو مرادف للمشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وأما الشرعي فهو محل الاختبار، وهو مرادف للمحبة؛ فقد يقع، وقد لا يقع. وكل ذلك داخل في عموم مشيئته، كما قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

وبقية صفات ربوبيته، سبحانه، ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة؛ الخلق، والملك، والأمر، كالرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال الغيث، وإنبات الأرض، وتصريف الرياح، وإجراء الفلك، وتعاقب الليل والنهار، والحمل، والوضع، والصحة، والمرض، والعز، والذل، وغيرها.

وهذا الإيمان بربوبيته، سبحانه، مركوز في الفطر، مدرك ببداهة العقول، محسوس في الكون، موفور في النصوص. ومن دلائل ذلك في كتاب الله:

الإيمان بالله

○ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

○ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٩٥) ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٩٦) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ﴾ (٩٨) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

○ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٢ - ٤].

الإيمان بالله

٢١

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣) خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا
 دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ
 ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
 لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾
 يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ
 لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا
 تَبَسُّونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْوَيْلَ وَالْجَمِيمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
 تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

[النحل: ٣ - ١٨].

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ
 عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ
 أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ
 ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا
 كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ

الإيمان بالله

ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّالِئِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ [المؤمنون: ١١ - ٢٢].

○ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلُبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور: ٤٣ - ٤٥].

○ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيَالٍ لِّبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٩﴾ لِّنُخْلِصَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٢﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٥﴾ [الفرقان: ٤٥ - ٥٤].

○ ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

الإيمان بالله

٢٣

أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَسَائِدِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبٌ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم: ١٧ - ٢٧].

○ ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالْجَبَمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الشَّرَفَيْنِ وَرَبُّ الْغَرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَاتُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ [الرحمن: ١ - ٢٥].

○ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿١﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٢﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٣﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَبَاسًا ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٦﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿٩﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٠﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١١﴾ [النبا: ٦ - ١٦].

الإيمان بالله

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَتَّعْنَاكُمْ وَلِنَقْصِمَكُمْ ﴿٣٣﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْلَيْتُ فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهْهَ وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَاكُمْ وَلِنَقْصِمَكُمْ ﴿٣٢﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

وعامة بني آدم مُقَرُّون، من حيث الجملة، بربوبية الله تعالى؛ بأنه الخالق، المالك، المدبر، حتى مشركي العرب، حكى الله عنهم هذا الإقرار، في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٩﴾ [الزخرف: ٩].

وإنما وقع في هذا الباب ضلال جزئي، من قبل طوائف متعددة، حيث أشركوا في الربوبية، مثل:

- ١ **الثنوية من المجوس، والمانوية:** القائلون إن للعالم خالقين: إله النور؛ يخلق الخير، وإله الظلمة؛ يخلق الشر! وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة، ومختلفون في الظلمة؛ هل هي قديمة، أم محدثة؟
- ٢ **النصاري:** القائلون بالتثليث؛ فيجعلون الإله الواحد، بزعمهم، ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس.

ولكنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد.

الإيمان بالله

٢٥

٣ **مشركو العرب:** الذين يعتقدون لآلهتهم شيئاً من النفع والضرب، والتدبير، ويستقسمون بالأزلام.

٤ **القدرية النفاة:** القائلون: «العبد يخلق فعل نفسه» خلقاً مستقلاً عن الله.

وكل هذه الضلالات مدفوعة بدلالة الفطرة، والعقل، والحس، والشرع على وحدانية الرب سبحانه في خلقه، وملكه، وأمره. قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. فالإله الحق لا بد أن يكون خلاقاً، فعلاً لما يريد، فلو كان معه شريك لكان يخلق ويفعل! وحينئذ لا يخلو الحال من أحد احتمالين:

➤ إما أن يذهب كل إله بخلق، ويستقل بسلطانه: وهذا الاحتمال يأباه انتظام العالم.

➤ وإما أن يقع بينهما مغالبة واستعلاء: فلو أراد أحدهما تحريك جسم، وأراد الآخر تسكينه، أو أراد أحدهما إحياء شيء، وأراد الآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد أيٍّ منهما. والأول والثالث ممتنعان؛ لأنهما نقيضان؛ لا يجتمعان، ولا يرتفعان، فتعين الثاني؛ فمن حصل مراده فهو الإله القادر، والآخر لا يصلح للإلهية. فالأمر إلى إثبات ربٍّ واحد؛ خالقٍ واحد، وملكٍ واحد، ومدبر واحد. وهذا ما يُعرف بدليل التمانع.



ثالثاً الإيمان بألوهيته

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الإله الحق، المستحق للعبادة دون ما سواه.

الإيمان بالله

٢٦

فإن معنى (الإله): المألوه؛ أي: المعبود، الذي تأله القلوب محبةً، وتعظيمًا. وحقيقة العبادة: كمال المحبة، مع كمال التذلل، والخضوع، والتعظيم. وذلك لا يكون إلا للإله الواحد. وقد جاءت بهذا الإيمان أعظم شهادة، من أعظم شاهد، في أعظم مشهود به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿وَالْهَكَمُ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقد خلق الله جميع خلقه؛ إنسهم، وجنهم، لعبادته وحده، مع كمال غناه عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا [الذاريات: ٥٦ - ٥٧]. وبعث جميع رسله إلى الناس ليحققوا هذا الإيمان، ويدعونهم إلى إفراده بالعبادة، ونبذ الشرك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فبادروا أقوامهم بالقول: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وتحقيق هذا الإيمان يقتضي صرف جميع أنواع العبادات لله وحده، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر. وهي أصناف:



١ العبادات القلبية:

كالمحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والخوف، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]،

الإيمان بالله

٢٧

والرجاء، قال تعالى: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وهذه الثلاث هي أمهات العبادات القلبية، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولا يقتصر على بعضها دون بعض، فمن عبد الله بالخوف وحده، فهو: (حروري) ومن عبد الله بالرجاء وحده، فهو: (مرجئ)، ومن عبد الله بالحب وحده، فهو: (زنديق)، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء، فهو: (الموحد الحنيف).

وصلاح القلب أصل صلاح الجسد، كما في الحديث: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». متفق عليه^(١).



٢ العبادات القولية:

كالدعاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨]، والاستعاذة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، والاستغاثة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، والذكر بأنواعه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، والتلاوة، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وعموم الكلم الطيب، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وغيرها.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)؛ ومسلم برقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.



٣ العبادات البدنية:

كالصلاة والنحر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، والطواف، قال تعالى: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وإمطة الأذى عن الطريق، قال ﷺ في خصال الإيمان: «وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(١)، وغيرها.



٤ العبادات المالية:

كالنفقات التعبدية؛ من زكوات، وصدقات، ووصايا، وأوقاف، وهبات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩]، وإطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

والإيمان بالوهمية الله ﷻ لازم الإيمان بربوبيته ومقتضاه. فمن أقر بأن الله هو الخالق، المالك، المدبر، لزمه أن يقر بالوهميته، ويفرده بالعبادة. وقد أقام الله الحجة على المشركين بهذا الإقرار، في مواضع متعددة من كتابه، مثل:

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٤]، فأقام تعالى الحجة عليهم بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

﴿كما أنه سبحانه أبطل ألوهية آلهة المشركين بكونها لا تتصف بشيء من صفات الربوبية. قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤) أَلَهُمْ

الإيمان بالله

٣٠

أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي
 نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٨].

○ وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
 أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

○ وقال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ
 ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ
 قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

ولهذا كان الشرك في عبادة الله تعالى:

١ - **أظلم الظلم:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:

١٣]، لأنه تنقص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره
 به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

٢ - **أكبر الكبائر:** قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً،

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله» الحديث، متفق عليه ^(١).

٣ - **أعظم الذنوب:** سئل النبي ﷺ: أيُّ الذنوب أعظم عند الله؟

قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» متفق عليه ^(٢).

٤ - **انتكاس في الفطرة، وتردد في الضلالة:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)؛ ومسلم برقم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧)؛ ومسلم برقم (٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفيهما أن ابن مسعود رضي الله عنه السائل.

الإيمان بالله

٣١

فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١].
وقد رتب الله تعالى على الشرك، لعظم بشاعته، أحكاماً دنيوية
وأخروية، منها:

١) عدم الغفران

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٢) تحريم الجنة، والخلود في النار

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٣) حُبوب جميع الأعمال

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

٤) سقوط عظمة الدم والمال

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ [التوبة: ٥]، وقال ﷺ:
«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ
مَنْيَ مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٩)؛ ومسلم برقم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،
وأخرجه البخاري أيضاً برقم (٢٥)؛ ومسلم برقم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بزيادة
ذكر الصلاة والزكاة.

وقد ضل في هذا الباب طوائف من بني آدم، منهم:



١ عِبَادُ الْأَوْثَانِ

على اختلاف معبوداتهم؛ من شجر، وحجر، وإنس، وجن، وملائكة، وكواكب، وحيوانات، مما أغواهم به الشيطان.



٢ القَبُورِيُّونَ

الذين يدعون المقبورين، ويقدمون لهم النذور والقرايين، ويسألونهم جلب النفع، ودفع الضر.



٣ السحرة، والمشعوذون، والكهَّان

الذين يعبدون الجن لقاء ما يخبرونهم به، أو يحضرونه لهم، أو يصنعونه لهم.

ولعظيم خطر الشرك في العبادة، حذر النبي ﷺ من الأسباب الموصلة إليه، وسد الطرق المفضية إلى وقوعه. ومن أمثلة ذلك:



١ التحذير من الغلو في الصالحين

قال ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه^(١). وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم! فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسوله». رواه البخاري^(٢).

(١) أخرجه أحمد برقم (١٨٥١) و(٣٢٤٨)؛ والنسائي برقم (٣٠٥٩)؛ وابن ماجه برقم

(٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

الإيمان بالله

٣٣

ومن الغلو في الصالحين، التوسل بهم. والتوسل أنواع:

* **أحدها:** توسل شركي مخرج من الملة: وهو دعاؤهم من دون الله؛ بقضاء الحاجات، وكشف الكربات.

* **الثاني:** توسل بدعي، لا يبلغ مبلغ الشرك: وهو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله، كالتوسل بذوات الصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

* **الثالث:** توسل مشروع: وهو التوسل بالإيمان بالله وطاعته، ودعائه باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، أو بعمل صالح قدّمه، أو طلب الدعاء من عبد صالح في شأن عام.

وأما قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كُنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا ﷺ، فتسَّقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعَمِّ نبيِّنا فاسقنا». رواه البخاري^(١). فهو توسل بدعاء العباس، لقربته من النبي ﷺ، لا بذاته، ولو كان التوسل بالذوات مشروعاً، لتوسلوا بالنبي ﷺ ولو بعد وفاته.



٢ التحذير من الافتتان بالقبور

ومن صور ذلك:

◀ **اتخاذها مساجد:** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصَةً له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ كشفها. فقال، وهو كذلك: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجد» يُحذِّرُ ما صنعوا. ولولا ذلك لأبرز قبره، غيرَ أنه خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجداً». متفق عليه^(٢). وقال: «ألا، وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم

(١) برقم (١٠١٠) من طريق أنس رضي الله عنه، عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩٠)؛ ومسلم برقم (٥٢٩، ٥٣١).

الإيمان بالله

٣٤

وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم^(١). ومعنى اتخاذها مساجد: أي قصد الصلاة عندها، وإن لم يكن عليها مسجد، فإن المسجد هو موضع السجود.

◀ **البناء عليها، وأن يزداد عليها غير ترابها، وتخصيصها:** عن أبي الهيثاج الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لي عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ؟ ألا تدعُ تمثالاً إلا طمستهُ، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيْتُهُ». رواه مسلم^(٢). وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه». رواه مسلم^(٣). فدخل في ذلك عقد القباب عليها، وتزييقها، وزخرفتها.

◀ **شدُّ الرِّحال إليها:** لعموم قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى». متفق عليه^(٤).

◀ **اتخاذ قبره ﷺ عيداً:** قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تجعلوا قبري عيداً». رواه أبو داود^(٥). والعيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان.

٣ التحذير من مشابهة المشركين، وأهل الكتاب: في اعتقاداتهم،

وعباداتهم، وعاداتهم، المختصة بهم

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خالفوا المُشركين» متفق عليه^(٦). وقال: «خالفوا

(١) برقم (٥٣٢) من حديث جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) برقم (٩٦٩).

(٣) برقم (٩٧٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (١١٨٩)؛ ومسلم برقم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) برقم (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨٩٢)؛ ومسلم برقم (٢٥٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإيمان بالله

٣٥

المجوس» رواه مسلم^(١). وقال: «خالفوا اليهود» رواه أبو داود^(٢).



٤ التحذير من التصوير

فعن عائشة أن أم سلمة رضي الله عنهما ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بالحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور. أولئك شرارُ الخلق عند الله» متفق عليه^(٣).



٥ التحذير من الألفاظ الشركية

ومن صور ذلك:

◀ **الحلف بغير الله**: لحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي^(٤).

◀ **التسوية في المشيئة**: لقوله لمن قال له: ما شاء الله وشئت: «أجعلني لله عدلاً! قل: ما شاء الله وحده» رواه النسائي^(٥).

◀ **قول: مُطَرْنَا بَنَوْ كَذَا**: لقوله في الحديث القدسي: «وأما من قال: مُطَرْنَا بَنَوْ كَذَا وكذا، فذلك كافرٌ بي، ومؤمنٌ بالكوكب» متفق عليه^(٦). ويُقاس عليه كل قول يتضمن نسبة التدبير لغير الله تعالى.

(١) برقم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٦٥٢) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٤)؛ ومسلم برقم (٥٢٨) واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٣٢٥١)؛ والترمذي برقم (١٥٣٥) واللفظ له، كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) في السنن الكبرى برقم (١٠٧٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦)؛ ومسلم برقم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.



٦ التحذير من الأعمال المفضية إلى الشرك

ومن صور ذلك:

◀ **لبس الحلقة أو الخيط، في اليد، أو العنق، بقصد دفع البلاء أو**

رفعه: لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْرٍ، فقال: «ويحك ما هذه؟»، قال: من الواهنة. قال: «انزعها! فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان ^(١).

◀ **تعليق التمام، والودع، والأوتار، والقلائد، لدفع العين:**

لحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ» رواه أحمد وابن حبان والحاكم ^(٢). وفي رواية عند أحمد، والحاكم: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ» ^(٣)، ولحديث: «لَا تُبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ - أَوْ قِلَادَةٍ -، إِلَّا قُطِعَتْ» متفق عليه ^(٤).

◀ **الرُّقَى والعزائم الشركية، والتَّوَلَّة:** لحديث: «إِنَّ الرُّقَى،

والتَّامِيمَ، وَالتَّوَلَّةَ، شِرْكٌ» رواه أبو داود وابن ماجه ^(٥). والتَّوَلَّة: شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحجب المرأة إلى زوجها.

◀ **الذبح في مواضع الشرك:** لقوله ﷺ لما سأله رجل نذر أن ينحر

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٠٠٠٠)؛ وابن ماجه برقم (٣٥٣١)؛ وابن حبان في صحيحه برقم (٦٠٨٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٠٤)، وابن حبان برقم (٦٠٨٦)، والحاكم في المستدرک برقم (٧٧٠٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٢٢)؛ والحاكم في المستدرک برقم (٧٧٢٠) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)؛ ومسلم برقم (٢١١٥) من حديث أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٨٣)؛ وابن ماجه برقم (٣٥٣٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الإيمان بالله

٣٧

إِبْلًا بِبُؤَانَةٍ: «هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «أوفٍ بنذرِك» رواه أبو داود (١).

التطير والتشاؤم: لحديث ابن مسعود رضي الله عنه: مرفوعاً: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ» رواه أبو داود وابن ماجه (٢).

وبالجملة، فكل من أثبت سبباً لم ينصبه الله سبباً، لا حساً ولا شرعاً، فقد وقع في الشرك، أو تطرّق إليه.



رابعاً الإيمان بأسمائه وصفاته

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه، أو أثبت له نبيه في سنته، من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من غير تمثيل ولا تكيف، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه نبيه في سنته، من صفات النقص، والعيب، ومماثلة المخلوقين، من غير تحريف، ولا تعطيل.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأسماءه وصفاته، سبحانه، توقيفية، لا يستقل العقل وحده بإثباتها، لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث. فما سكت الله عنه ورسوله من الأوصاف،

(١) برقم (٣٣١٣) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٠)، وابن ماجه برقم (٣٥٣٨).

الإيمان بالله

٣٨

فالواجب السكوت عنه، والتوقف فيه نفيًا وإثباتًا، والاستفصال عن مراد قائله؛ فإن أراد معنى صحيحًا: قبل المعنى، ورد اللفظ، وإن ذكر معنى فاسدًا: رد اللفظ والمعنى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأسماء الله تعالى قد بلغت من الحسن غايته، وهي أعلام على ذاته، وأوصاف له، سبحانه. وصفاته كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه. قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وهي حق على حقيقتها، فيجب إجراؤها على ظاهرها، دون تحريف. ويحرم الإلحاد فيها؛ بتعطيل، أو تمثيل، أو ابتداع أسماء لم يسم بها نفسه، أو اشتقاق أسماء للأصنام من أسمائه سبحانه؛ كاللات، من الإله، والعزى، من العزيز، ومناة، من المنان.

ويجب دعاؤه بها؛ دعاء مسألة، ودعاء عبادة. وينبغي إحصاؤها، وفهم معانيها، والتفكر في آثارها، والعمل بمقتضاها. وذلك أشرف العلوم. وتنقسم صفات الله تعالى باعتبار تعلقها به سبحانه إلى:



١ صفات ذاتية

وهي الملازمة لذاته المقدسة؛ كالحياء، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والحكمة، والقوة، وغيرها.



٢ صفات فعلية

وهي المتعلقة بمشيئته وحكمته؛ يفعلها إذا شاء، كيف شاء، بما تقتضيه حكمته؛ كالاستواء، والنزول، والمحبة، والبغض، والفرح،

الإيمان بالله

٣٩

وَالْعَجَبُ، وَالضَّحْكَ، وَالْمَجِيءُ، وَغَيْرَهَا مِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّتْ بِهِ السُّنَّةُ.

ويقال عن بعضها، كصفة الكلام: ذاتية، فعلية، فهي ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار آحادها وأفرادها، أو يقال: قديم النوع، حادث الآحاد.

ويقال عن بعضها، صفات خبرية: وهي ما كان سبيل إثباتها الخبر المجرد، دون العقل: كالوجه، واليدين، والعينين، والقدم، وغيرها مما صح به الخبر.

ومن صفات الله تعالى، الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع:



صفة العلو

١

وهو ثلاثة أنواع: ١ - **علو القدر**: أي: أن له سبحانه من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعلاها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].
 ٢ - **علو القهر**: أي: أن الله تعالى له العزة والقوة والغلبة والامتناع على جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].
 ٣ - **علو الذات**: أي: أن الله تعالى بذاته فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، ليس فيه شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء منه، سبحانه وبحمده، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ سأل الجارية، فقال لها: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قالت: في السماء. قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسولُ الله. قال: «أَعْتَقَهَا، فَإِنَّهَا مؤمنة»^(١). وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

على إثبات هذا النوع، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر. والعلو صفة ذاتية.



٢ صفة الاستواء

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، في ستة مواضع في القرآن الكريم، وسابعتها: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. والاستواء: هو علو الله على عرشه بعد خلق السماوات والأرض، علوًا يليق بجلاله وعظمته، لا يماثل استواء المخلوقين. والاستواء صفة فعلية.



٣ صفة الكلام

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وصفة الكلام: هي أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي، مسموع، بحروف وأصوات لا يماثل كلام المخلوقين. وأنه يتكلم متى شاء، بما شاء، كيف شاء، صدقًا، وعدلاً، بكلمات لا تنفد، لم يزل، ولا يزال متكلمًا سبحانه. فهو صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده وأفراده.

فجميع هذه الأنواع من الصفات حق على حقيقتها. فيجب إثباتها، وإمرارها، كما جاءت، وإجراؤها على ظاهرها، دون تحريف ولا تعطيل، ودون تمثيل ولا تكييف. وذلك مطّرد في جميع الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في الباقي، سواءً بسواء. ومن فرق فقد تحكّم بغير دليل.

الإيمان بالله

٤١

وقد ضلَّ في باب أسماء الله وصفاته طوائف من أهل القبلة، وهم:



١ أهل التمثيل

الذين بالغوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل. وشبهتهم أن ذلك مقتضى النصوص؛ لأن الله خاطب الناس بما يعهدون في المخلوقات!

* والرد عليهم، من وجوه:

أولاً: أن الله نفى عن نفسه المثل، والكفو، والند، بآيات محكمة صريحة؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

ثانياً: أن العقل السليم يأبى أن يكون الإله الخالق الكامل، كالعبد المخلوق القاصر. فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات.

ثالثاً: أن الله خاطب العباد بما يفهمون، من حيث أصل المعنى. ولا يلزم من الاشتراك في المعنى الكلي المطلق، التماثل في الحقائق والكيفيات. فإذا كان اتفاق الأسماء بين المخلوقات نفسها، لا يوجب تماثلاً بينها، كلفظ السمع، والبصر، والقدرة، واليد، والوجه، فما بين الخالق والمخلوق من باب أولى.



٢ أهل التعطيل

الذين بالغوا في التنزيه حتى وقعوا في النفي، والتعطيل. وشبهتهم أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل، لكون تلك الصفات مما يتصف به

الإيمان بالله

٤٢

المخلوق، فيتعين نفيها عن الخالق! فأثبتوا لله وجوداً مطلقاً غير مقيد بصفة، فأشدهم تعطيلاً القرامطة الباطنية الذين نفوا عنه النقيضين، ثم الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات، ثم المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء وأنكروا ما تضمنته من صفات.

✽ والرد عليهم، من وجوه:

◀ **أولاً:** أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات في آيات محكمة، صريحة، مفصلة، وذكرها مقرونة بنفي التمثيل، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

◀ **ثانياً:** أن إثبات وجود مطلق، لا يقبل الاتصاف بوصف، لا حقيقة له في الأعيان، وإنما هو قضية في الأذهان فحسب. فمقالتهم تؤول إلى إنكار الخالق.

◀ **ثالثاً:** أن الوصف بالألفاظ العامة، المطلقة، الكلية، في معين، لا يلزم أن يكون هو بعينه ثابتاً في معين آخر، بل كلاً منهما يكون فرداً من أفراد ذلك الوصف العام؛ لأن الصفة إذا قيدت، أو أضيفت، زال الاشتراك في الخارج.



٣ أهل التأويل

الذين اعتقدوا أن بعض نصوص الصفات؛ كالصفات الفعلية والخبرية، لا تدل على صفة حقيقية لله تعالى، فطفقوا يبحثون عن معاني أخرى يحملون النصوص عليها، بلا دليل صحيح يسوّغ لهم صرف الكلام عن ظاهره، إلى خلاف الظاهر، مسمّين تحريفهم هذا تأويلاً!

* والرد عليهم، من وجوه:

◀ **أولاً:** أن الله تعالى أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، من خلقه. ورسوله ﷺ، أعلم بربه، وأصدق لساناً، وأفصح بياناً، وأنصح الأمة للأمة. فكيف يستدرك أحد على الله ورسوله، ويجعل كلامهما مدعاةً للتلبيس والضلال.

◀ **ثانياً:** أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته. ولا يصح تأويله إلا بدليل صحيح يقتضي صرفه عن ظاهره إلى مجازه. ولا دليل.

◀ **ثالثاً:** أن النبي ﷺ قد بين للناس ما نُزل إليه من ربهم، وبلغ البلاغ المبين، فلا يمكن أن يهمل ﷺ هذا الباب العظيم دون بيان المراد الذي ادّعاه هؤلاء المحرفون من المعاني المخترعة!



٤ أهل التجهيل

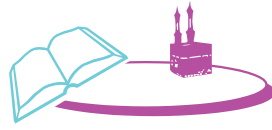
الذين اعتقدوا أن معاني ما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر بها رسوله مجهولة المعنى، لا يعلمها إلا الله، ولا سبيل لأحد إلى العلم بها! ويسمون طريقتهم (التفويض).

* والرد عليهم، من وجوه:

◀ **أولاً:** أنه يمتنع أن يكون باب العلم بالله، الذي هو أشرف أبواب الدين موصداً، فلا عقل ولا نقل يدلان عليه!.

◀ **ثانياً:** أن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وأمر عباده بتعقله، وتدبر معانيه، ولم يستثن شيئاً. فدل على إمكان العلم بالمعاني، وأما الكيفيات والحقائق فإنها من الغيبات التي يفوض علمها إلى الله.

◀ **ثالثاً:** أن هذا المسلك يقتضي تجهيل السابقين الأولين، من سلف هذه الأمة، ووصفهم بأنهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وأن آيات الصفات في حقهم بمنزلة الطلاس، وحروف المعجم التي لا تفيد معنى معقولاً.



الإيمان بالملائكة

هو الاعتقاد الجازم أن الله خلق خلقاً لعبادته، وأخلصهم لطاعته، وخصهم بقربه، وأسكنهم سماواته، ومنحهم القوة على تنفيذ أمره.

ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا بالاعتقاد:

أولاً أنهم عباد مكرمون، بررة مقرَّبون، خاضعون لربهم، مشفقون

فليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦]، وقال: ﴿كَرَامَ بَرِّقَ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]، وقال: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].



ثانياً أنهم مُسمَّون بأسماء كريمة

فمن علمنا اسمه منهم آمنا به باسمه، ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً. ومما نعلمه من أسماء الملائكة الكرام: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك، ورضوان، ومنكر ونكير، كما جاء في القرآن وصحيح السنة.



ثالثاً أنهم مخلوقون من نور، أولو أجنحة، على هيئات عظيمة، متنوعة

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. وقال ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» رواه مسلم^(١). وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ: «رَأَى جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ»^(٢).

وقال ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ، مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ» رواه أبو داود^(٣). فهم خلق حقيقي، لا قوى معنوية كما زعم ذلك بعض المجازفين، وهم خلق كثير، لا يحصيهم كثرة إلا خالقهم، ففي حديث أنس المتفق عليه في قصة المعراج: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَصْلِي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ، آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ»^(٤).

(١) برقم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٤)؛ ومسلم برقم (١٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البخاري برقم (٣٢٣٢)؛ ومسلم برقم (١٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) برقم (٤٧٢٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)؛ ومسلم برقم (١٦٢).



رابعاً أنهم صافون مسبحون

ألهمهم الله تسبيحه، وامثال أمره، ومنحهم القوة على تنفيذه.
قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦]، وقال: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨) ﴿[فصلت: ٣٨]، لَا يَقْرَءُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه، إذ قال لهم: «تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء؟ قال: إني لأسمع أطيح السماء، وما تلام أن تنط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم» رواه الطبراني، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم ^(١).



خامساً أنهم محجوبون عن المشاهدة

فهم عالم غيبي، لا يقعون تحت مدارك الحواس الإنسانية، في الحياة الدنيا، إلا لمن شاء الله، كروية نبينا ﷺ لجبريل على صورته التي خلقه الله عليها. وإنما يُروون في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٢٢) [الفرقان: ٢٢]، وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. ولكن الله أعطاهم القدرة على التحول والتشكل على هيئة الأدميين، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (٦٩) ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (٧٠) [هود: ٦٩ - ٧٠]،

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٣١٢٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة، للألباني برقم (٨٥٢).

الإيمان بالملائكة

٤٨

وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوَّمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۖ﴾ [هود: ٧٧ - ٧٨]، فكانوا عليه السلام على صورة رجال. وكذلك حين أتى جبريل النبي ﷺ على صفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر. وكان يأتيه أحياناً على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه.



سادساً أنهم موكلون بأعمال متنوعة

إلى جانب وظيفتهم الأساسية المستمرة؛ من عبادة الرب وتسييحه. فمن ذلك:



١ النزول بالوحي

وهي وظيفة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿وَلِيْنَهُ لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].



٢ إنزال القطر وإنبات الأرض

وهي وظيفة ميكائيل؛ كما رواه أحمد أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: (لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان) ^(١).

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٤٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٠٦١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١٤٢١٢) ثم قال: (وفيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات).

٣

النفخ في الصور

وهي وظيفة إسرافيل عليه السلام للصعق، والبعث. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

وهؤلاء الثلاثة: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، هم سادة الملائكة؛ لأن مهامهم تتعلق بالحياة؛ فجبريل موكل بحياة القلوب، وميكائيل موكل بحياة النبات، وإسرافيل موكل بحياة الأبدان. وأشرفهم جبريل عليه السلام، وهو روح القدس.

٤

حفظ بني آدم

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١].

٥

حفظ أعمال بني آدم

قال تعالى: ﴿إِذْ يَتْلَى الْمُتَلَقَاتِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

٦

تثبيت المؤمنين ونصرهم

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالَتْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ١٢].



قَبْضُ الْأَرْوَاحِ

٧

وهي وظيفة ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١].



سؤال الميت في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه

٨

والسائلان هما: منكر ونكير.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» متفق عليه ^(١).

وفي لفظ عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ النُّكَيْرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟...» الحديث ^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٠٧١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق، وهو العامري القرشي مولا لهم، كلام لا يضر).

العناية بالجنين

بنفخ الروح فيه، وكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح...» الحديث ^(١).

خزائن النار

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

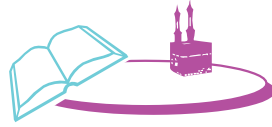
الاستغفار للمؤمنين، والدعاء لهم، وبشارتهم، وإكرامهم في الجنة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [٧] رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٨] وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٩] [غافر: ٧ - ٩].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)؛ ومسلم برقم (٢٦٤٣) بدون ذكر النطفة، وقد أخرجه بها: أبو عوانة؛ كما في فتح الباري، لابن حجر (١٨٩/١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾
[فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا
صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].



الإيمان بالكتب

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى أنزل على أنبيائه كتباً بالحق، هدى للناس، ورحمةً بهم، وموعظةً لهم، وحجةً عليهم، وتبياناً لكل شيء.

والإيمان بها يقتضي أموراً:



أولاً الإيمان بأنها منزلة من عند الله بالحق

أولاً

قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]. فهي كتب الله وكلماته، ليست كلام ملك مقرب، ولا نبي مرسل. فلها صفة العصمة والقداسة.

ثانياً الإيمان بما علمنا اسمه منها تعييناً، وما لم نعلم اسمه

ثانياً



نؤمن به إيماناً مجملًا

وأعظمها ثلاثة:



١ التوراة: التي أنزلها الله على موسى ﷺ

١

قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [١٤٤]. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا

الإيمان بالكتب

سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤].

٢ الإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

٣ القرآن: الذي أنزله الله على محمد ﷺ

وهو أعظمها كلها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ومن كتب الله: الزبور، الذي آتاه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، وصحف إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (١٨) صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

ثالثاً تصديق ما لم يُحرّف من أخبارها

فقد أخبر تعالى أن كتب بني إسرائيل قد دخلها التحريف اللفظي والمعنوي، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

الإيمان بالكتب

٥٥

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

وأما القرآن العظيم فقد تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وصانه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وتأسيساً على ذلك، فإن القصص والأخبار المذكورة في كتب أهل الكتاب، المسمّاة اصطلاحاً (الإسرائيليات) لا تخلو من ثلاثة أحوال:



أحدها أن تكون موافقة لما في القرآن

فنعقد صحتها، لشهادة كتابنا لها؛ كذكر الطوفان، وقصة إبراهيم، ويوسف، وموسى، وإغراق آل فرعون، وآيات عيسى عليه السلام، وغيرها، دون ما تضمنته من تفاصيل.



الثانية أن تكون مخالفة لما في القرآن

فنعقد بطلانها، وأنها مما أحدثوه، وكتبوه بأيديهم، ولووا به ألسنتهم؛ كزعمهم أن لوطاً عليه السلام شرب الخمر، وزنى بابنتيه! أكرمه الله، وحاشاه. وزعمهم أن عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.



الثالثة أن تكون غير موافقة ولا مخالفة

فلا نصدّقها، ولا نكذبها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله، وكتبه، ورسله. فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدّقوهم» رواه أحمد،

الإيمان بالكتب

٥٦

وأبو داود^(١). إلا إنه يجوز التحديث به، وحكايته، لقول النبي ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ» رواه البخاري^(٢). وغالبها مما لا فائدة فيه، ولا حاجة إليه.



رابعاً الحكم بشرية القرآن

فإن الله أنزل القرآن العظيم مهيمناً على الكتب السابقة، أي: حاكماً، وأميناً، وشاهداً عليه. فاستوعب ما تضمنته من مصالح، ونسخ بعض أحكامها وأقر بعضها، وزاد عليها. فلا يحل اتباع شريعة غير شريعة القرآن، فقد قال تعالى، بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يَوْمَئِذٍ نَبْغِضُ دُونَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا نَبْغِضُكَ أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].



خامساً الإيمان بالكتاب كله، وعدم تبعيضه

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٢٥)؛ وأبو داود برقم (٣٦٤٤) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

الإيمان بالكتب

٥٧

أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿البقرة: ٨٥﴾، وقال: ﴿هَآتَيْتُمْ أَزْوَاجَ
مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

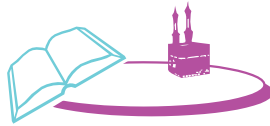
سادساً

تحريم كتمانها، وتحريفها، والاختلاف فيها، وضرب

كلام الله بعضه ببعض

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا
تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾
[آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ
وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿البقرة: ١٧٤ -
١٧٦﴾، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

وسمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم
بهذا، ضَرَبُوا كتابَ الله بعضه ببعض، وإنما نَزَلَ كتابُ الله يُصدِّقُ بعضه
بعضاً، فلا تُكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم، فكلُّوه
إلى عالمِهِ». رواه أحمد^(١).



(١) برقم (٦٧٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

الإيمان بالرسول

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى اصطفى من الناس رجالاً، أوحى إليهم، وأرسلهم مبشرين، ومنذرين، يبلغون رسالاته إلى خلقه بعبادته وحده، واجتناب الطاغوت، رحمة بهم، وإقامة للحجة عليهم.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

ومما يدخل في الإيمان بالرسول:

أولاً الإيمان بأن رسالتهم من عند الله، بمحض مشيئته،

وحكمته

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣١ - ٣٢).

فالنبوة، والرسالة، لا تنالان بالرياضة، والمجاهدة، كما يزعم بعض زنادقة الصوفية، كما لا تثبت باجتماع القوى القدسية، والتخيلية، والتأثيرية، كما يزعم الفلاسفة، بل هي محض اصطفاء، وفضل من الله، لمن علمه أهلاً لها من كرام خلقه.

ثانياً الإيمان برسول الله جميعاً؛ من علمنا اسمه تعييناً، ومن لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً

فممن علمنا اسمه، منهم: المذكورون في قوله تعالى - بعد ذكر إبراهيم عليه السلام -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

فالواجب الإيمان بهم جميعاً؛ لأن دعوتهم واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. فالكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنه أول الرسل. فلا يجوز التفريق بين رسل الله، ولا الإيمان ببعضهم دون بعض، فمن فعل ذلك فقد كفر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

الإيمان بالرسول

٦٠

يَا اللَّهُ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورُهُمْ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].



ثالثاً تصديقهم، وقبول ما أخبروا به عن الله

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ
فَاعْمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال: ﴿وَالْتَجِمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا
ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ١ - ٥].

فكل ما صح من أخبار الأنبياء السابقين، مما أثبتته الله في كتابه،
أو صح عن نبيه ﷺ في سنته، وجب تصديقه. وأما ما يؤثر عنهم في
الإسرائيليات، فيجري عليها ما تقدم تفصيله في الإيمان بالكتب. وأما ما
رفع إلى نبينا محمد ﷺ من روايات مسندة، فتجري عليها
قواعد المحدثين، لمعرفة صحيحها من سقيمها. فما صح وجب قبوله
والإيمان به.



رابعاً طاعتهم، واتباعهم، والتحاكم إليهم

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
[النساء: ٦٤]، فالواجب على كل أمة أن تطيع نبيها الذي بُعث فيها،
وتتبعه. ولما كان آخرهم، وخاتمهم، محمد، صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين، كانت شريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع، وطاعته، واتباعه،
متعينة على كل من سمع به.

الإيمان بالرسول

٦١

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَكَتُوبٍ عِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨]. وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].



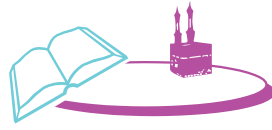
خامساً موالاتهم، ومحبتهم، وتوفيرهم، والسلام عليهم —

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَاقِلُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصفات: ٨١]، وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾﴾

الإيمان بالرسول

٦٢

[الفتح: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
 وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده،
 وولده، والناس أجمعين» متفق عليه^(١).



(١) أخرجه البخاري برقم (١٥)؛ ومسلم برقم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

الإيمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى يؤخر العباد ليوم يبعثهم فيه من قبورهم، ويحاسبهم على أعمالهم، ويجزيهم عليها؛ إما بالجنة أو النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا وَكَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ [١٤] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [١٥] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤ - ١٦].

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ما يلي:



الإيمان بما يكون بعد الموت

أولاً

من معاينة الملائكة حين الاحتضار، وفتنة القبر الحاصلة من سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيه، وعذاب القبر، أو نعيمه، مما يكون في حياة البرزخ. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠].

الإيمان باليوم الآخر

[فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» متفق عليه ^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: «إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فغرّز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» متفق عليه ^(٢).



ثانياً الإيمان بالساعة وأشراتها

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٨)؛ ومسلم برقم (٢٩٢).

الإيمان باليوم الآخر

٦٥

[الشورى: ١٧ - ١٨]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [١٨] [محمد: ١٨].

ومن أشراط الساعة الكبرى، ما دل عليه قوله ﷺ: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات». فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسوف بالمشرق، وخسوف بالمغرب، وخسوف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» رواه مسلم^(١).

ومجيء الساعة مباغت، سريع؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقيامها يكون بنفخة الصعق؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].



ثالثاً الإيمان بالبعث

وهو إخراج الله تعالى العباد من قبورهم أحياء، حفاة؛ غير منتعلين، عراة؛ غير مكتسين، غرلاً؛ غير مختونين، بهماً؛ ليس معهم شيء، وذلك بعد النفخة الثانية في الصور. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً» متفق عليه^(٢).

(١) برقم (٢٩٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم برقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.



رابعاً الإيمان بأحوال القيامة الكبرى

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وهي قيام الناس لرب العالمين قياماً طويلاً في عَرَصات القيامة، يُسْمِعُهُمُ الداعي، وَيُنْفِذُهُمُ البصر، وتدنو منهم الشمس، ويُلْجِمُهُمُ العرق، ويُوْرِدُ الحوض، وتُنْشِرُ الدواوين، وتوضع الموازين، وينصب الصراط، في مواقف عظيمة، وأحوال مهولة.



خامساً الإيمان بالحساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [٢٦] [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [٧] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [٨] [الانشقاق: ٧ - ٨]، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٩] [الزلزلة: ٧ - ٨]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [٤٧] [الأنبياء: ٤٧].

وحساب الخلائق نوعان:



١ حساب المؤمنين

وهو إما عرض أو مناقشة. فحساب العرض لمن سبقت له من الله الحسنى من السعداء، ويدل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يُدْني المؤمنَ، فيضعُ عليه كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أي رب! حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيُعْطَى كتابَ حسناته» متفق عليه ^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

الإيمان باليوم الآخر

٦٧

وأما حساب المناقشة، فيقع لأصحاب الكبائر من الموحدين، ممن شاء الله أن يعذبهم بذنوبهم في النار، ومآلهم إلى الجنة. ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحدٌ يُحاسبُ يومَ القيامةِ إلا هلك»، فقلتُ: يا رسولَ الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما ذلك العرضُ، وليس أحدٌ يُناقشُ الحِسابَ يومَ القيامةِ إلا عُذِّبَ» متفق عليه ^(١).



حساب الكافرين

٢

فهؤلاء لا يحاسبون محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه لا حسنات لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] بل يوقفون على أعمالهم، ويقررون بها، ففي حديث ابن عمر السابق: «وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]» متفق عليه ^(٢).



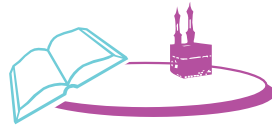
سادساً الإيمان بالجزاء

وهو الإيمان أن الجنة حق، والنار حق. فالجنة هي الدار التي أعدّها الله جزاءً لعباده المتقين، فيها من صنوف النعيم الحسي، والمعنوي، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والنار هي الدار التي أعدّها الله جزاءً للكافرين، فيها من صنوف العذاب الحسي، والمعنوي مثل ذلك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٧].



الإيمان بالقدر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى قدر مقادير الخلائق بعلمه الأزلي، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأجراها بمشيئته، وأوجدتها بقدرته. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ومما يدخل في الإيمان بالقدر، ما يلي:



أولاً الإيمان بعلم الله

الأزلي، الأبدى، المحيط بكل شيء جملةً، وتفصيلاً، مما يتعلق بأفعاله؛ من تقدير الآجال، والأرزاق، أو يتعلق بأفعال عباده؛ من الطاعات، والمعاصي. قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. فقد علم من سيطيعه، ومن سيعصيه، كما علم ما يُعَمَّر من مُعَمَّر وما يُنْقَص من عمره.



ثانياً الإيمان بكتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

الإيمان بالقدر

٧٠

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء» رواه مسلم^(١). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» رواه أبو داود والترمذي^(٢).

وقد جمع الله العلم والكتابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].



ثالثاً الإيمان بمشيئة الله النافذة

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا يكون في ملكه ما لا يريد. يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ولا معقب لحكمه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَنَلِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَنَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

(١) برقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠)؛ والترمذي برقم (٢١٥٥).

رابعاً الإيمان بخلق الله لجميع الكائنات، وإيجاده لها -

فالله الخالق، وما سواه مخلوق. وجميع الأشياء؛ ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، مخلوقة، محدثة. والله خالقها، وموجدتها. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. فأفعال العباد خلق لله، وكسب لهم؛ قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

خامساً الإيمان أنه لا تلازم بين المشيئة والمحبة —

فقد يشاء ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء، لحكمة بالغة، وغاية محكمة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

سادساً الإيمان أنه لا تعارض بين الشرع والقدر —

قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [٤] فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ [٥] وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ [٦] فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ [٧] وَأَمَّا مَنْ يُخَلِّ وَأَسْتَفَىٰ [٨] وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ [٩] فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ [١٠] [الليل: ٤ - ١٠]. وذلك أن الشرع كتاب مفتوح، والقدر غيب مكنون. فقد قدر الله مقادير العباد، وأخفى ذلك عنهم، وأمرهم، ونهاهم، وأعدهم، وأمدهم، بما يؤهلهم لامتنال أمره، واجتناب نهيه، وعذرهم إذا عرض لهم مانع من موانع التكليف. فلا حجة لأحد على فعل المعصية، وترك الطاعة، بالقدر السابق. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ

الإيمان بالقدر

٧٢

أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩]، فأكذب دعواهم أولاً، وأذاقهم بأسه ثانياً، ولو كان لهم في القدر حجة ما أذاقهم بأسه، وكشف زيف دعواهم، ثالثاً: فهم لم يطلعوا على كتابهم فيصدروا عن علم، فيكون حجة لهم. بل هي مبنية على ظن وتخرص، ليس إلا! فصارت الحجة البالغة لله.

وقد ضل في باب القدر طائفتان:



القدرية النفاة

إحداهما

الذين غلوا في إثبات أفعال العباد، وأنكروا القدر السابق، وهم على درجتين:

- ١ **غلاة:** وهم أوائلهم، الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، وزعموا أن الأمر أنف، وقد رد عليهم الصحابة؛ كابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهما. وقد أنكروا العلم والكتابة، والمشية والخلق.
- ٢ **مقتصدون:** وهم المعتزلة، الذين أثبتوا العلم والكتابة، وأنكروا المشية والخلق، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه.



الجبرية

الثانية

الذين غلوا في إثبات أفعال الرب، حتى سلبوا العبد مشيئته وقدرته، وجعلوا أفعاله اضطرارية كحركة المرتعش، ونفوا عن أفعال الله الحكمة والتعليل، وهم على درجتين:

الإيمان بالقدر

٧٣

١ غلاة: وهم زنادقة الصوفية، الذين يزعمون شهود الحقيقة الكونية، ويسوغون لأنفسهم فعل كل شيء، بدعوى موافقة القدر، ويقول قائلهم:

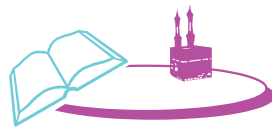
أصبحت منفعلاً لما تختاره مني ففعلي كله طاعات^(١)

٢ مقتصدون: وهم الأشاعرة، القائلون بنظرية: (الكسب)، وإثبات قدرة للعبد غير مؤثرة!

وكلا الطائفتين محجوج بالشرع والواقع:

١ فمنكرو القدر بمراتبه الأربع - العلم والكتابة والمشية والخلق التي تقدم ذكرها -: ترد عليهم النصوص الصريحة بإثباتها، ويدل الواقع على أن المرء يعتمد لفعل شيء من الأشياء فيحال بينه وبينه.

٢ والجبرية الغلاة في إثبات القدر، ترد عليهم النصوص الدالة على إثبات الإرادة، والفعل، والمشية للعبد. ويدل الواقع على أن كل إنسان يفرق بين أفعاله الاختيارية، وما يقع عليه من أمور اضطرارية. كما أن النصوص الشرعية متوافرة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله ﷻ.



(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص(٢٣٧).



القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمِنَةً، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، وقال ﷺ وهو يعرض نفسه على القبائل في الموسم: «ألا رجلٌ يحملني إلى قومه، فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أُبلغَ كلامَ ربِّي» رواه الخمسة^(١).

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة؛ حروفه، ومعانيه، لا يشبهه كلام المخلوقين، منزل غير مخلوق، تكلم الله به ابتداءً، وأوحاه إلى الروح الأمين، جبريل، فنزل به على قلب محمد ﷺ، مفرقاً، فقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وإذا تلاه الناس، أو كتبه في المصاحف، أو حفظوه في الصدور، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة؛ فإن الكلام إنما يُنسب حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فالتلاوة غير المتلو، والكتابة غير المكتوب، والحفظ غير المحفوظ، وهكذا سائر التصرفات، فالفعل فعل القارئ أو الكاتب أو الحافظ، والكلام كلام الباري. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٦] وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٢)؛ وأبو داود برقم (٤٧٣٤)؛ والترمذي برقم (٢٩٢٥)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٦٨٠)؛ وابن ماجه برقم (٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

القرآن

٧٥

مُيَبِّتٌ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠٢ - ١٠٣]، وقد أكفر الله من نسبه إلى قول البشر، وتوعده بسقر، فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ ﴿٢٦﴾ [المدثر: ٢٦].

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:



إحداهما الجهمية والمعتزلة

الذين أنكروا صفات الله، ونفوا كلامه، وزعموا أن إضافة الكلام إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله، لا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

والرد عليهم: أن المضاف إلى الله، إما أن يكون عيناً قائمة بذاتها، فيكون من إضافة المخلوق لخالقه، وإما أن يكون وصفاً لا يتصور قيامه بنفسه، مثل الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام، فيكون من إضافة الصفة إلى المتصف بها. مع مخالفة ما ادعوه للكتاب والسنة والإجماع.

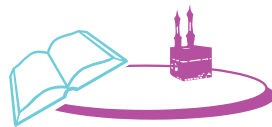


الثانية الصفاتية من الكَلَابِيَّة والأشاعرة والماتريدية

الذين أثبتوا كلام الله بأنه المعنى القديم القائم في نفسه، وأما الحروف والأصوات فمخلوقة لتُعبّر، أو لتحكي ذلك المعنى القديم الذي لا يتجدد، ولا يتعلق بمشيئته.

فقصروا الكلام على المعاني دون الحروف والأصوات، وجعلوا ما سمعه الأبوان في الجنة، وما سمعه موسى عند الشجرة مخلوقاً، لا كلام الله حقيقة!.

والرد عليهم: أن الكلام لا يُطلق إلا على مجموع الأمرين، ولا يسمى حديث النفس كلاماً حقيقة. مع مخالفة ما قالوه للكتاب والسنة والإجماع.





ومن الإيمان بالله واليوم الآخر الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم
القيامة، عياناً بأبصارهم، من غير إحاطة، في موضعين:
أحدهما: في عَرَصات القيامة، أي: مواقف الحساب.
والثاني: بعد دخولهم الجنة.

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]،
وقال: ﴿عَلَى الْأَرْآكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله
الكريم^(١)، وقال ﷺ - لَمَّا نظر إلى القمر ليلة البدر -: «إنكم سترون ربكم
كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته» متفق عليه^(٢).

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحداهما نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من

الرافضة والإباضية

فقد أنكروا الرؤية، واستدلوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرَنِیْ﴾
[الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١) من حديث صُهب بن سفيان، وانظر: تفسير الطبري (١٢/١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)؛ ومسلم برقم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله.

الرؤية

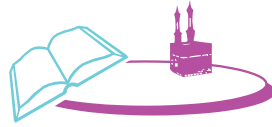
٧٧

والرد عليهم: أن المراد بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾؛ أي: في الدنيا، كما طلب، ولا يلزم من (لن) النفي المؤبد. وأن نفي الإدراك: نفي للإحاطة لا نفي للرؤية؛ فقد تقع الرؤية ولا يقع الإدراك، كما في رؤية الشمس، والقمر والجبل، ونحوها، مع تواتر النصوص القرآنية والنبوية على إثبات الرؤية.



الثانية الخرافيون من الصوفية والمبتدعة

الذين غلوا في إثبات الرؤية، وسوغوا وقوعها في الدنيا لأوليائهم، ورووا في ذلك الأحاديث الموضوعة. وقد قال ﷺ: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم وَجْهًا حتى تموتوا»^(١).



(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧١٦)، والآجري في الشريعة برقم (٨٨١) واللفظ له، من حديث عبادة ﷺ. وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة ﷺ.

حقيقة الإيمان

١ **الإيمان قول وعمل**؛ قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح.

◀ **فقول القلب**: اعتقاده، وتصديقه، وقبوله.

◀ **وقول اللسان**: التلفظ بكلمة الإسلام، والاستعلان بالشهادتين.

◀ **وعمل القلب**: ما يقوم به من النيات والإرادات؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل.

◀ **وعمل اللسان**: ما يلهج به من الذكر، والدعاء، والتلاوة.

◀ **وعمل الجوارح**: ما تتحرك به الأعضاء من العبادات البدنية.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة؛ فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٩)؛ ومسلم برقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حقيقة الإيمان

٧٩

فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل، فهو تصديق مستلزم للقول والعمل. فانتفاء القول والعمل دليل على انتفاء التصديق.

٢ **والإيمان عند الانفراد**، مرادف للإسلام عند الانفراد، فإن كلاً منهما يعني الدين كله. وأما عند الاقتران، فالإيمان يعني الاعتقاد الباطن، والإسلام يعني العمل الظاهر، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

٣ **والإيمان بزيادة وينقص**؛ يزيد بالعلم بالله، والتفكر في آياته الكونية، والتدبر لآياته الشرعية، وفعل الطاعات، وترك المعاصي، وينقص بالجهل بالله، والغفلة عن آياته الكونية، والإعراض عن آياته الشرعية، وتضييع الطاعات، واجتراح السيئات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٤ **والإيمان بتفاضل**، وبعض خصاله أعلى من بعض، كما في الحديث المتقدم: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة؛ فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم^(١).

٥ **وأهله فيه متفاضلون**؛ بعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ

(١) تقدم ص(٧٨).

حقيقة الإيمان

٨٠

أَفْضَلُ الْكَبِيرِ ﴿٣٢﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي^(١).

فمن أتى بالشهادتين معتقداً معناهما، ملتزماً مقتضاهما، فقد أتى بأصل الإيمان. ومن فعل الواجبات، وترك المحرمات، فقد أتى بالإيمان الواجب. ومن فعل الواجبات، والمستحبات، وترك المحرمات، والمكروهات، فقد أتى بالإيمان الكامل.

٦ والاستثناء في الإيمان؛ بأن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله» له ثلاثة أحوال:

◀ **أحدها:** إن قاله شاكاً في أصل الإيمان: فلا استثناء محرّم، بل كفر؛ لأن الإيمان جزم.

◀ **الثاني:** إن قاله خوفاً من تزكية النفس بادعاء تحقيق الإيمان الواجب أو الكامل، فواجب.

◀ **الثالث:** إن قاله تبركاً بذكر المشيئة، فلا استثناء جائز.

٧ ولا يزول وصف الإيمان بمطلق المعاصي والكبائر، بل تنقصه، مع بقاء أصله؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، لا يخرج من الملة في الدنيا، ولا يخلد في النار في الآخرة، بل يكون تحت المشيئة؛ إن شاء عفا الله عنه بفضله، ورحمته، وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ومآله إلى الجنة، أو ببعض ذنبه، فيخرج بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

(١) أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢)؛ وأبو داود برقم (٤٦٨٢)؛ والترمذي برقم (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ - أَوْ الْحَيَاةِ -» رواه البخاري^(١)، وقال ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» رواه البخاري^(٢). وفي رواية: «مَنْ إِيْمَانٍ»^(٣)، مكان «مَنْ خَيْرٍ».

وقد ضل في هذه المسألة طائفتان:

◀ **الأولى: الوعيدية:** القائلون بإنفاذ الوعيد، وإنكار الشفاعة في حق مرتكبي الكبائر، من عصاة الموحدين، وهم صنفان:

١ - **الخوارج:** القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ودخل الكفر. فهو كافر في الدنيا، خالد في النار في الآخرة.

٢ - **المعتزلة:** القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر. فهو في منزلة بين منزلتين في الدنيا؛ لا مؤمن ولا كافر! خالد في النار في الآخرة!

والرد على الوعيدية من وجوه، منها:

أولاً: أن الله تعالى أثبت الإيمان، وأبقى وصف الأخوة الإيمانية لمرتكب الكبيرة، في الدنيا، كما في قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ اَلْقِصَاصُ فِي اَلْقَتْلِ اَلْحُرِّ بِاَلْحُرِّ وَاَلْعَبْدُ بِاَلْعَبْدِ وَاَلْاُنْثَىٰ بِاَلْاُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ اَخِيهِ

(١) برقم (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) برقم (٤٤) من حديث أنس ﷺ.

(٣) ذكرها البخاري بعد الرواية السابقة معلقة مجزوماً بها.

حقيقة الإيمان

شَيْءٌ فَالْبَاقُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴿البقرة: ١٧٨﴾، فسمى القاتل أخاً للمقتول، وكما في قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِّلُوا إِلَىٰ تَبَعٍ حَتَّىٰ تَقْضَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، فنسب الطائفتين المقتلتين إلى الإيمان، وأثبت لهما أخوة الإيمان.

ثانياً: أن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ويُخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك أحاديث الشفاعة.

◀ **الثانية: المرجئة:** القائلون بإرجاء الأعمال، أي تأخيرها، عن مسمى الإيمان، فالعمل عندهم، لا يدخل في تعريف الإيمان، وحقيقته. وهم في تعريف الإيمان أصناف:

١ - **الجهمية:** تصديق القلب، أو معرفة القلب، فقط، فلا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢ - **الكرامية:** نطق اللسان، فقط.

٣ - **مرجئة الفقهاء:** تصديق القلب، ونطق اللسان، فقط، وأما الأعمال فليست داخلة في حد الإيمان وحقيقته، بل هي من ثمراته.

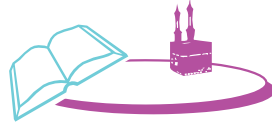
والرد على المرجئة من وجوه، منها:

أولاً: أن الله سمى الأعمال إيماناً، فقال في شأن من صلوا إلى بيت المقدس، وماتوا قبل تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم.

ثانياً: أن النبي ﷺ نفى الإيمان المطلق عن مرتكب الكبائر العملية، فقال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق»

حينَ يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتهبُ نُهبةً ذاتَ شرفٍ، يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهُم، حينَ ينتهبُها، وهو مؤمنٌ متفق عليه^(١).

ومنشأ فساد مقالة كلا الطائفتين؛ الوعيدية، والمرجئة، من اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد، إما أن يوجد كله، أو يعدم كله! فأما المرجئة فأثبتوه بمجرد الإقرار؛ بالقلب، أو اللسان، أو بهما معاً، ولو لم يعمل البتة، فهم أهل تفريط. وأما الوعيدية فنفوه بأدنى كبيرة، فهم أهل إفراط. فمقدمتهما واحدة، ونتيجتهما متضادتان!



(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.



المسلمون أمة واحدة؛ لا يستقيم أمرها، ولا يصلح شأنها، ولا تتحقق رسالتها إلا بأمور:



١ وجوب البيعة

قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه مسلم^(١).



٢ السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف

وإقامة الحج، والجمع، والأعياد، مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أو فجّاراً، والنصح لهم، والرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحبّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» متفق عليه^(٢)، وقال: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ» رواه مسلم^(٣).

(١) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)؛ ومسلم برقم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو طرف الحديث الأول في هذا الباب.



تحريم الخروج عليهم، ومناذتهم

ولو جاروا، إلا أن يفعلوا كفراً بواحاً، عندنا فيه من الله برهان؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه. فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا: على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعُسْرنا، ويُسْرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان» متفق عليه ^(١). وقال ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تُنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم» متفق عليه ^(٢).

فلا يحل الخروج عليهم، إلا بتوفر شروط ثقال:

- ١ التحقق من وقوع الكفر برؤية علمية، أو بصرية، لقوله: «إلا أن تروا». فلا يعتمد على الشائعات، والبلاغات.
- ٢ أن يكون (كفراً)، فلا يخرج عليهم لفسقهم وفجورهم.
- ٣ أن يكون (بواحاً) أي ظاهراً، مستعلنًا. فلا يخرج عليهم لكفر خفي.

- ٤ وجود الدليل القطعي على التكفير به، لقوله: «عندكم فيه من الله برهان»، فلا يخرج عليهم، لأمر ظني، محتمل، أو مسألة خلافية.
- ٥ القدرة: فلا يخرج مع العجز، ولو توفر ما مضى، حتى لا يؤدي إلى استئصال الدين، وأهله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، فأمرُوا بالكف حال الضعف، وكتب عليهم مع القدرة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)؛ ومسلم برقم (١٧٠٩) [٤٧٧١].

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٢)؛ ومسلم برقم (١٨٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.



◀ **الصحابي:** من اجتمع بالنبي ﷺ، مؤمناً به، ومات على ذلك. والصحابة، رضوان الله عليهم، خير الناس بعد الأنبياء، وأفضل قرون الأمة، قال ﷺ: «خيرُ الناسِ قرني»^(١)، وقال: «خير أمتي قرني»^(٢) متفق عليهما. وهم كلهم عدول؛ لأن الله سبحانه قد اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وزكاهم، ورضي عنهم، وتاب عليهم، ووصفهم بأكرم الأوصاف، ووعدهم خير عِدة، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. ومع ذلك، فإنهم يتفاضلون، تفاضلاً عاماً وخاصاً؛ **فمن مراتب التفاضل العام:**



المهاجرون أفضل من الأنصار

١

لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ولأن الله تعالى قدمهم في الذكر، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

- (١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٢)؛ ومسلم برقم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٠)؛ ومسلم برقم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما واللفظ للبخاري.

اللَّهُ وَرِضُونَا وَيَصْرُورَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُؤْتِيكَ هُمُ الصَّدُوقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

٢ من أنفق من قبل صلح الحديبية، وقاتل، أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].



٣ أهل بدر

لقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «إنه شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» متفق عليه^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧)؛ ومسلم برقم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.



أهل بيعة الرضوان

٤

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].
وقال ﷺ: «لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحدٌ من الذين بايعوا تحتهَا» رواه مسلم^(١).

وأما التفاضل الخاص:



الخلفاء الراشدون الأربعة

١

فأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، بإجماع أهل السنة والجماعة، وقد تواتر النقل، من أكثر من ثمانين وجهًا، عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر» رواه أحمد بأسانيد صحيحة، وابن أبي عاصم، وصححه الألباني^(٢)، ولا يقطع علي رضي الله عنه بذلك إلا عن علم.

ويليهما في الفضل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لما روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنا نُخَيِّرُ بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنُخَيِّرُ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنه»^(٣). وفي لفظ: «فَيُبْلَغُ ذلك النبي ﷺ فلا يُنكره»^(٤). وقال سفيان الثوري رحمه الله: «من قدم علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»^(٥)؛ لكونهم

(١) برقم (٢٤٩٦) من حديث أمِّ مَبَشَّرٍ رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٨٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة بتخريج الألباني برقم (١٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بتخريج الألباني برقم (١١٩٣).

(٥) أخرجه ابن معين في تاريخه من رواية ابن محرز برقم (٨٨٥)؛ والخلال في السنة =

قدموه في الخلافة، ويليه علي بن أبي طالب عليه السلام، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.



المبشرون بالجنة

٢

وهم الخلفاء الأربعة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعيد بن زيد، رضوان الله عنهم أجمعين؛ فقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم للعشرة بالجنة، رواه الخمسة^(١)، وهو صحيح. كما دلت النصوص على البشارة لغيرهم كبلال^(٢)، وثابت بن قيس^(٣)، وعبد الله بن سلام^(٤)، رضي الله عنهم أجمعين.



أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

٣

وهم خمسة بطون تحرم عليهم الصدقة: آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب. قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ وَجَلَكَ

= برقم (٥٢٨)، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥٠/٥) عنه بلفظ: «مَنْ قَدِمَ عَلِيًّا عَلَى عَثْمَانَ فَقَدْ أَزْرَى عَلَى اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ، قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، الَّذِينَ أَجْمَعُوا عَلَى بَيْعَةِ عَثْمَانَ».

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٧٥)؛ والترمذي برقم (٣٧٤٧)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٣٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف عليه السلام، بذكر العشرة، وأخرجه أحمد برقم (١٦٣١)؛ وأبو داود برقم (٤٦٤٩)؛ والترمذي برقم (٣٧٤٨)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٦٢)؛ وابن ماجه برقم (١٣٣) من حديث سعيد بن زيد عليه السلام بذكر التسعة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١١٤٩)؛ ومسلم برقم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة عليه السلام، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٥٧) من حديث جابر عليه السلام.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٣)؛ ومسلم برقم (١١٩) من حديث أنس عليه السلام.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٨١٢)؛ ومسلم برقم (٢٤٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص عليه السلام.

الصحابة

اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم ^(١)، وقال: «أَذْكُرُكُمْ الله في أهل بيتي، أَذْكُرُكُمْ الله في أهل بيتي» رواه مسلم ^(٢). ولما شكا إليه العباس بن عبد المطلب عليه السلام أن بعض قريش يجفون بني هاشم، قال: «والله، لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم الله ولقرايتي» رواه أحمد ^(٣).

ومن أهل بيته عليه السلام، أزواجه الطيبات المطهرات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقد اصطفاهن الله لنبيه، وجعلهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وسماههن أمهات المؤمنين. وأفضلهن خديجة، وعائشة بنت أبي بكر عليهما السلام. وبقيتهن: سودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي، وزينب بنت جحش، وجويرية، وميمونة، وزينب بنت خزيمة، رضي الله عنهن جميعاً.

فالواجب تجاه الصحابة، على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم:

أولاً: محبتهم، وموالاتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والثناء عليهم، آحاداً وجماعات. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال عليه السلام: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» رواه البخاري ^(٤).

(١) برقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع عليه السلام.

(٢) برقم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم عليه السلام.

(٣) برقم (١٧٧٧) من حديث العباس بن عبد المطلب عليه السلام.

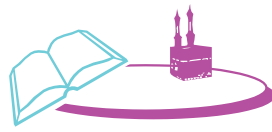
(٤) برقم (١٧) من حديث أنس عليه السلام.

وقال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق» رواه مسلم^(١).

❖ **ثانياً:** سلامة القلوب والألسنة لهم: من الغل وسوء الظن، ومن السب واللعن. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه^(٢).

❖ **ثالثاً:** الكف عما شجر بين بعضهم، وإحسان الظن بهم، والاعتذار لهم بأنهم مجتهدون؛ إما مصيبون فلهم أجران، أو مخطئون فلهم أجر واحد. ولهم من السوابق، والمناقب، والحسنات العظيمة، ما يوجب مغفرة الذنوب، إن كان قد صدر منهم ذنب.

❖ **رابعاً:** البراءة من طريقة الروافض، أهل الغلو في أهل البيت، والبغض والسب لعامة الصحابة، ومن طريقة النواصب، أهل الجفاء والأذى لأهل بيت رسول الله ﷺ.



(١) برقم (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)؛ ومسلم برقم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأولياء

المؤمنون كلهم أولياء الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].
وأكرمهم عنده أتقاهم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].
فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا، فَوَلَايَتُهُمْ لَهُ بِطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَوَلَايَتُهُ لَهُمْ بِمَحَبَّتِهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ.



الولي

١

هو كل مؤمن تقي. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، ومراتبهم في الولاية، بحسب مراتبهم في الإيمان والتقوى، لا بنسب ولا دعوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿[الحجرات: ١٣]﴾.



الكرامة

٢

أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه، كرامة له، وتصديقاً للنبي الذي اتبعه. وهي على نوعين:
➤ أحدهما: في العلوم، والمكاشفات، والفراصة، والإلهامات.
➤ الثاني: في القدرة، والتأثيرات.
والكرامات حاصلة لأولياء الله في الأمم الماضية، ولصدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وباقية فيها إلى يوم القيامة.

أصول جامعة في التأصيل والاستدلال



الأصول الجامعة

١

التي تؤخذ منها العقيدة، والشرعة، والسلوك، ثلاثة: **الكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع المنضبط.** ولا يحل أن تعارض برأي، أو قياس، أو ذوق، أو كشف، أو قول أحد كائناً من كان.



السبيل في فهم الكتاب والسنة

٢

سبيل السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، والإعراض عن السبل المبتدعة التي أحدثها المتكلمون والصوفية؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].



العقل الصريح

٣

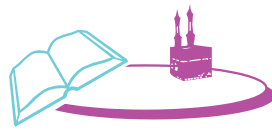
السالم من الشبهات والشهوات، لا يعارض النقل الصحيح، السالم من العلل القادحات. وقد تأتي النصوص بمخارات العقول، لكن يمتنع أن تأتي بمخالات العقول. ومن توهم التعارض فقد أتى من فساد عقله، ويلزمه حينئذ: تقديم النقل على العقل.



هي الإحداث في الدين. قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه^(١)، وفي لفظ عند مسلم وعند البخاري معلقاً مجزوماً به: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

وهي أنواع:

- ١ - عقدية: كالشيع والخروج والقدر والإرجاء.
- ٢ - عملية: كالرهبانية والطرقية.
- ٣ - أصلية: كالموالد والأذكار المحدثّة.
- ٤ - إضافية: تتطرق إلى العبادة في سببها أو جنسها، أو قدرها، أو كيفيتها، أو زمانها، أو مكانها.
- ٥ - مغلظة: كالشرك بأنواعه.
- ٦ - مخففة: كالذكر الجماعي.
- ٧ - مكفرة: كنفي الصفات.
- ٨ - مفسقة: كالسماع المحرم.



(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به قبل حديث رقم (٢١٤٢) ورقم (٧٣٥٠)؛ ومسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من مكمالات العقيدة



١ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

ولا بد من العلم قبله، والرفق معه، والصبر بعده.

٢ الحرص على الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة



والاختلاف

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى سَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٥]، وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩).

الَّذِينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾، وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشدُّ بعضُهُ بعضاً» وشبك بين أصابعه. متفق عليه ^(١).
وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» ^(٢).



٣ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال

من الصبر، والكرم، والشجاعة، والحلم، والصفح، والتواضع، وترك أضدادها، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(١٩٩)

[الأعراف: ١٩٩].

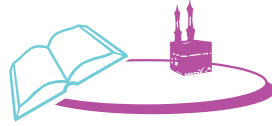
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» ^(٣). وعن أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربةً من كُرْبِ الدنيا نفَسَ الله عنه كُرْبَةً من كُرْبِ يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦)؛ ومسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٩)؛ والترمذي برقم (٢٠٠٢)، (٢٠٠٣) واللفظ لأبي داود، وعند الترمذي زيادة بعده: «وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

ما كان العبدُ في عونِ أخيه، ومَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفَّتْهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده، ومَن بطأَ به عمله لم يُسرِّعْ به نسبه^(١).



(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).



دين الله واحد، وهو الإسلام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو دين الله للأولين والآخرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]. وهذا هو الإسلام بالمعنى العام؛ الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص، فهو ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق؛ من عقائد صحيحة، وشرائع عادلة، وأعمال سالحة، وأخلاق قويمه، وجعله ناسخاً لما سبقه من الأديان، فلا يقبل ديناً سواه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال ﷺ: «والذي نفسي بال محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم^(١).

وقد سمى الله عباده الذين سبقت لهم منه الحسنى مسلمين؛ فقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، لكن لما جرت سنة الله في خلقه أن يختلفوا، ويفتروا - كما قال نبيه ﷺ: «أَلَا إِنَّ مِنْ

(١) برقم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثَنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ^(١)، صَارَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ، هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ، الْمُتَّبِعُونَ لِلْسُّنَّةِ، الْخَالِصَةُ مِنَ الشُّبُوبِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الظَّاهِرَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢).

وَهُمْ وَسْطُ بَيْنِ طَرَفَيْنِ، وَعَدْلُ بَيْنِ عَوَجَيْنِ، وَهَدًى بَيْنِ ضَلَالَتَيْنِ:

١ بين المشبهة والمعطلة في باب صفات الله.

٢ وبين الجبرية والقدرية في باب أفعال الله.

٣ وبين المرجئة والوعيدية في باب وعيد الله، وأسماء الإيمان والدين.

٤ وبين الخوارج والرافضة في باب أصحاب رسول الله ﷺ.

وَهُمْ بَرَاءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، وَالطَّرَائِقِ الْغَوِيَّةِ، مَغْتَبَطُونَ بِمَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَّ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِرَقْمٍ (١٦٩٣٧)؛ وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ (٤٥٩٧) مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمٍ (٢٦٤٠)؛ وَابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمٍ (٣٩٩١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقْمٍ (٢٦٤١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمٍ (٣٩٩٢) مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (٣٦٤١)؛ وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (١٠٣٧) [٤٩٥٥] مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

الدين والطريقة

١٠٠

الكفر والفسوق والعصيان، ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحجرات: ٨).

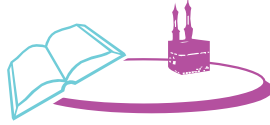
وصلَّى الله وسلَّم على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

تم الفراغ منه في: ١٥/٢/١٤٢٧هـ

عنيزة



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
العقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة	٩
١ - الإيمان بالله	١١
أولاً: الإيمان بوجوده، ودلائل وجوده	١١
ثانياً: الإيمان بربوبيته	١٧
ثالثاً: الإيمان بألوهيته	٢٥
رابعاً: الإيمان بأسمائه وصفاته	٣٧
٢ - الإيمان بالملائكة	٤٥
أولاً: أنهم عباد مكرمون، بررة مقربون، خاضعون لربهم، مشفقون ...	٤٥
ثانياً: أنهم مُسمَّون بأسماء كريمة	٤٦
ثالثاً: أنهم مخلوقون من نور، أولو أجنحة، على هيئات عظيمة، متنوعة	٤٦
رابعاً: أنهم صافُّون مسبِّحون	٤٧
خامساً: أنهم محجوبون عن المشاهدة	٤٧
سادساً: أنهم موكلون بأعمال متنوعة	٤٨
٣ - الإيمان بالكتب	٥٣
أولاً: الإيمان بأنها منزلة من عند الله بالحق	٥٣
ثانياً: الإيمان بما علمنا اسمه، وما لم نعلم اسمه	٥٣
ثالثاً: تصديق ما لم يُحرّف من أخبارها	٥٤
رابعاً: الحكم بشريعة القرآن	٥٦
خامساً: الإيمان بالكتاب كله، وعدم تبعيذه	٥٦
سادساً: تحريم كتمانها، وتحريفها، والاختلاف فيها، وضرب كلام الله	٥٧
بعضه ببعضه	٥٧

فهرس الموضوعات

١٠٢

الصفحة

الموضوع

٥٨	٤ - الإيمان بالرسل
٥٨	أولاً: أن رسالتهم من عند الله
٥٩	ثانياً: الإيمان بالرسل جميعاً، من عليم منهم ومن لم يعلم
٦٠	ثالثاً: تصديقهم، وقبول ما أخبروا به عن الله
٦٠	رابعاً: طاعتهم، واتباعهم، والتحاكم إليهم
٦١	خامساً: موالاتهم، ومحبتهم، وتوقيرهم، والسلام عليهم
٦٣	٥ - الإيمان باليوم الآخر
٦٣	أولاً: الإيمان بما يكون بعد الموت
٦٤	ثانياً: الإيمان بالساعة وأشراطها
٦٥	ثالثاً: الإيمان بالبعث
٦٦	رابعاً: الإيمان بالقيامة الكبرى
٦٦	خامساً: الإيمان بالحساب، وهو نوعان
٦٧	سادساً: الإيمان بالجزاء
٦٩	٦ - الإيمان بالقدر
٦٩	أولاً: الإيمان بعلم الله الأزلي الأبدي
٦٩	ثانياً: الإيمان بكتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ
٧٠	ثالثاً: الإيمان بمشيئة الله النافذة
٧١	رابعاً: الإيمان بخلق الله لجميع الكائنات، وإيجاده لها
٧١	خامساً: الإيمان بأنه لا تلازم بين المشيئة والمحبة
٧١	سادساً: الإيمان أنه لا تعارض بين الشرع والقدر
٧٢	من ضل في باب القدر، والرد عليها
٧٤	القرآن
٧٦	الرؤية
٧٨	حقيقة الإيمان
٨٤	الإمامة والجماعة
٨٦	الصحابة
٩٢	الأولياء
٩٣	أصول جامعة في التأصيل والاستدلال
٩٤	البدعة
٩٥	من مكملات العقيدة

٩٨	الدين والطريقة
١٠١	فهرس الموضوعات